

العنوان:	مراعاة الآخرين في السنة المطهرة
المصدر:	مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت
المؤلف الرئيسي:	الربيع، وليد بن خالد
المجلد/العدد:	س54, ع626
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2017
الشهر:	يوليو
الصفحات:	47 - 48
رقم MD:	822063
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	المنهج الإسلامي، السنة النبوية، فقه المعاملات، السلوكيات الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/822063

مراعاة الآخرين في السنة المطهرة



إيذائهم بالقول أو العمل، بقصد أو بغير قصد.

فعن ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» (١).

الله سبحانه من التوحيد وإخلاص الدين له، والبراءة من الشرك والكفر والنفاق، والقيام بأنواع العبودية الخالصة القلبية والقولية والبدنية والمالية والجماعية، وترك المعاصي ما ظهر منها وما بطن، وفي الوقت نفسه يحث المسلمين على أداء حقوق الناس؛ ومن تلك الحقوق مراعاة الآخرين، واحترام مشاعرهم، وعدم

يظن بعض الناس أن التدين حالة فردية، بمعنى أن المطلوب من المسلم أن يصلح ما بينه وبين ربه تعالى فقط؛ فعليه أن يصحح عقيدته، ويحسن عبادته، ويتقي المحارم لا غير، في حين أن التدين الحقيقي يعني بالقيام بحقوق الله تعالى وحقوق العباد أيضاً، فالإسلام يرسخ في أتباعه الشمول والتكامل، فالدين يأمر بأداء حقوق

فهذا نهى صريح عن إيذاء المسلمين، وهذا النهي يشمل الإيذاء البدني والمعنوي.

وفي السنة المطهرة أمثلة كثيرة من قول النبي ﷺ وفعله تقرر هذا المعنى الدقيق، وتؤكد هذا الخلق الأصيل، الذي يجلي بوضوح أن الإسلام ليس دين الفظاظة والغلظة، بل دين الخلق القويم، والأدب الرفيع.

١- فمن ذلك أن رد السلام واجب بالاتفاق (٢)، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز» (٣).

قال الحليمي معللاً الوجوب: «إنما كان الرد واجباً؛ لأن السلام معناه الأمان، فإذا ابتدأ به المسلم أخاه فلم يجبه فإنه يتوهم منه الشر، فيجب عليه دفع ذلك التوهم عنه». ففيه مراعاة شعور الأخ الذي سلم عليه.

٢- وكان ﷺ يراعى الناس في سلامه بحيث يحقق المقصود ولا يزعج الآخرين، فقد قال المقداد بن الأسود: «كان النبي يجيء من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان» (٤).

قال النووي: «فيه آداب السلام على الأيقاظ في موضع فيه نيام أو من في معانهم، وأنه يكون سلاماً متوسطاً بين الرفع والمخافتة، بحيث يسمع الأيقاظ، ولا يهوش على غيرهم» (٥).

٣- وفي الصلاة كان ﷺ يراعى أحوال المصلين حتى إنه كان يراعى الأم من أجل طفلها، فعن أنس أن النبي ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه» (٦).

قال ابن حجر: «فيه شفقة النبي ﷺ على أصحابه، ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير» (٧).

٤- وتبرز مراعاة الآخرين في صلاة الجماعة كما قوله ﷺ: «إذا كان أحدكم في صلاة، فإنه يناجي ربه؛ فلينظر أحدكم ما يقول في صلاته، ولا ترفعوا أصواتكم فتؤذوا المؤمنين» (٨).

وعن أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: «ألا إن كلكم مناجي ربه، فلا يؤذون بعضكم بعضاً، ولا يرفعون بعضكم على بعض بالقراءة. أو قال: في الصلاة» (٩).

ولاشك أن رفع الصوت بالقراءة والذكر والدعاء فيه تشويش على المسلمين، سواء أكان ذلك في صلاة الجماعة أم في المسجد ونحو ذلك، فالشرع يريد أن تكون العبادة وسيلة لتزكية النفس وترسيخ الأخوة، لا أن تكون سبباً للعداوة والقطيعة.

٥- ومما يؤكد مراعاة شعور الآخرين النهي عن النجوى فقد نهى النبي عن ذلك فقال: «لا يتجاسر اثنان دون الثالث، فإن ذلك يؤذي المؤمن، والله يكره أذى المؤمن» (١٠).

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة، فلا يتجاسر رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه» (١١).

قال الخطابي: وإنما قال: «يحزنه؛ لأنه قد يتوهم أن نجواهما إنما هي لسوء رأيهما فيه أو لدسياسة غائلة له». وقال ابن بطال: «وهذا من حسن الأدب لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا» (١٢).

٥- ومن مراعاة شعور الآخرين النهي عن إيذاء المسلم ولو بسبب قريبه الكافر، فلما شكأ عكرمة بن أبي جهل إلى رسول الله ﷺ أنه يقال له: ابن عدو الله، قام خطيباً فقال: «لا تؤذوا مسلماً بشتم كافر» (١٣). وقال: «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء» (١٤). قال المناوي: «لا تسبوا الأموات المسلمين، فتؤذوا الأحياء من أقاربهم» (١٥).

٦- وتجلي خلق النبي ﷺ في مراعاة شعور الآخرين حتى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن أنس قال: كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال النبي ﷺ: «أميطي عنا قرامك هذا، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي» (١٦).

قال الشيخ ابن عثيمين فيه: «حسن خلق النبي ﷺ حيث إنه لم يزل هذا القرام بنفسه؛ لأنه لو أزاله بنفسه لكان في ذلك مشقة عليها، لكنه أمرها أن تزيله؛ لأنها هي التي وضعت» (١٧).

٧- وروى المهاجر بن قنفذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتيت النبي ﷺ وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى توضأ ثم اعتذر إلي فقال: «إني كرهت أن أذكر الله تعالى إلا على طهر». أو قال: على طهارة» (١٨).

فالحديث فيه حسن خلق النبي ﷺ، وتطيبه لخاطر المهاجر ببيان سبب تأخر جواب سلامه، حتى لا يخطر بباله أنه، عليه السلام، قد تغير عليه، وهذا من آدابه عليه السلام ومراعاة لشعور الآخرين.

٨- وكان ﷺ يراعى شعور من أهدى له هدية فيها مخالفة شرعية فيرد هديته مع تطيب خاطرهم، فقد أخرج مالك عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: أهدى أبوجهم بن حذيفة لرسول الله ﷺ خميصة شامية لها علم فشهد فيها الصلاة، فلما انصرف قال: «ردي هذه الخميصة إلى أبي جهم فإنني نظرت إلى علمها في الصلاة فكاد يفتنني» (١٩).

وجاء في رواية قالت: قام رسول الله ﷺ يصلي في خميصة ذات أعلام فنظر إلى علمها فلما قضى صلاته قال: «اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم بن حذيفة وأتوني بأنبجانية فإنها ألهمتني أنفا في صلاتي» (٢٠). قال الشيخ ابن عثيمين: «حسن خلق

النبي ﷺ، حيث إنه لما رد على أبي جهم هديته طلب ما عند أبي جهم، وهي الإنبجانية، ووجه كون ذلك من حسن الخلق أنه إذا طلب النبي ﷺ منه الإنبجانية طاب قلبه، ولم ينكسر خاطره، وهذا أمر يجب على الإنسان أن يراعيه فيما إذا حصل ما يوجب كسر القلب أن يحصر على التثام القلب» (٢١).

٩- وعن عبدالله بن عباس أن الصعب بن جثامة الليثي أهدى لرسول الله ﷺ حمارا وحشيا وهو بالأبواء أو بودان فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه (أي: من الكراهة) قال: «إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم» (٢٢).

قال ابن حجر: «وفيه الاعتذار عن رد الهدية تطيبا لقلب المهدي» (٢٣).

وقال النووي: «وفيه: أنه يستحب لمن امتنع من قبول هدية ونحوها لعذر أن يعتذر بذلك إلى المهدي تطيبا لقلبه».

٩- وكان ﷺ يراعي مشاعر الصغار كما يراعي مشاعر الكبار، فعن سهل ابن سعد قال: أتى النبي ﷺ بقدر فشرب منه وعن يمينه غلام

أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال: «يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياء؟» قال: ما كنت لأؤثر بفضلي منك أحدا يا رسول الله ﷺ. فأعطاه إياه (٢٤).

فلم يقدم الكبار على الغلام وإنما استأذنه جبرا لخاطره، قال القاضي عياض: «وفي بعض الروايات: «عمك وابن عمك أتأذن لي أن أعطيه»، وفعل ذلك أيضا تألفا لقلوب الأشياخ، وإعلاما بودهم وإيثار كرامتهم إذا لم تمنع منها سنة، وتضمن ذلك أيضا بيان هذه السنة، وهي أن الأيمن أحق، ولا يدفع إلى غيره إلا بإذنه، وأنه لا بأس باستئذانه.

١٠- ومراعاة شعور الآخرين تمتد إلى العمال والخدم، لأنهم بشر لهم كرامة ومشاعر محترمة، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين أو لقمة أو لقمتين فإنه ولي حره وعلاجه» (٢٥).

قال ابن حجر: «قد تقدم أن العلة في الأمر بذلك أن تسكن نفس الخادم بذلك» (٢٦).

١١- وتستمر مراعاة شعور الآخرين حتى في المعاملات المالية والأحوال الأسرية. ففي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يبيع المؤمن على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه»، وفي رواية لمسلم: «لا يسم المسلم على سوم أخيه ولا يخطب على خطبته» وخرجاه من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له»، وخرج مسلم من حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر». فلا يحل أن تخطب حتى يأذن أو يترك.

وخلاصة الأمر أن السنة المطهرة ممتلئة بالأمثلة الرائعة من هدي النبي الكريم ﷺ في قوله وفعله وما دلا عليه من مراعاة مشاعر الآخرين في العبادات والمعاملات والمباحات، وأن ذلك خلق أصيل، وأدب رفيع يرسخ الأخوة الإيمانية ويدفع أسباب التباغض والقطيعة، وبالله التوفيق.

الهوامش

- ١- أخرجه الترمذي في باب ما جاء في تعظيم المؤمن، حديث (٢٠٢٢).
- ٢- نقل الإجماع على ذلك القرطبي وابن عبد البر وابن حجر وغيرهم (الجامع للقرطبي ٢٩٨/٥، فتح الباري ٤/١١، شرح مسلم للنووي ص ١٦١٩).
- ٣- أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز برقم: (١٢٤٠)؛ ومسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، برقم: (٢١٦٢).
- ٤- أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٢٨)؛ ومسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (٢٠٥٥).
- ٥- شرح مسلم للنووي.
- ٦- أخرجه البخاري، أبواب صلاة الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بقاء الصبي (٧٠٩)؛ ومسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (٧٢٣).
- ٧- فتح الباري ٢/٢٠٢.
- ٨- أخرجه أحمد، وصححه الألباني، ص. ج

رقم ٧٥٢.

- ٩- أخرجه أبو داود، كتاب التطوع، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، حديث (١٣٢٢) وصححه الألباني.
- ١٠- أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء لا يتناجى اثنان دون ثالث، حديث (٢٨٢٥).
- ١١- أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارعة، حديث (٦٢٩٠)؛ ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث، حديث (٤٠٦٠).
- ١٢- فتح الباري ١١/٨٤.
- ١٣- أخرجه الحاكم والبيهقي.
- ١٤- أخرجه الترمذي.
- ١٥- التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/٤٩٣.
- ١٦- أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب إن صلى في ثوب مصلب أو تصاوير هل تفسد صلاته، حديث (٣٦٧).
- ١٧- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ٢/٥٠٤.
- ١٨- أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن

ماجه وغيرهم بأسانيد صحيحة.

- ١٩- أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الصلاة، باب النظر في الصلاة إلى ما يشغلك عنها، حديث (٢٢٠).
- ٢٠- أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى علمها، حديث (٣٦٦).
- ٢١- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ٢/٥٠٦.
- ٢٢- أخرجه البخاري، في (الحج)، باب إذا أهدى للمحرم حمارا وحشيا حيا لم يقبل برقم ١٨٢٥؛ ومسلم، في (الحج)، باب تحريم الصيد للمحرم برقم ١١٩٣.
- ٢٣- فتح الباري ٤/٣٤.
- ٢٤- أخرجه البخاري، كتاب الشرب والمساقاة، باب في الشرب حديث (٢٢٢٤)؛ ومسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، حديث (٢٠٣٠).
- ٢٥- أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل مع الخادم (٥٤٦٠).
- ٢٦- فتح الباري ٩/٥٨٢.